الإمام الخميني؛ الأبعاد الشاملة للإنسان في العقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أطلعوني الآن على قرار الملك بارتكاب مذبحة كبرى بحق المسلمين الذين سيضربون غداً احتجاجا على المذابح.

لقد قلت مراراً بأن هذا الإنسان قد فقد السيطرة على أعصابه، وإنه الآن يعيش حالة من الجنون. ولأنه يشعر بانطواء عمره، فإنه يريد أن ينتقم من شعب إيران. لقد ارتكب ما مضى من الجرائم، ولآن الشعب ما يزال صامداً يطالبه بالرحيل. وقد أدرك بأن عليه أن يرحل، فإنه يريد أن يقوم بمذابح جنونية ضد الشعب، لقد ذكر ذلك في بعض أحاديثه: "إذا توجب علي الرحيل فإنني سأحوّل إيران إلى تلّ من تراب، نعم سأحوّل إيران إلى تلّ من تراب ثم أرحل."

وقد أصبح واضحاً أنه يروم ذلك، واليوم قد اطلعت، أعني اتصلوا هاتفيا من إيران حول استعدادات لارتكاب مذبحة كبرى. نحن لا ندري ما الذي سنفعله إزاء هذا النظام. وأمتنا المظلومة قد ابتليت بإنسان مجنون، قد فقد عقله!! نعم لا ندري ماذا نفعل!؟؟

أنا أشعر بالحزن إذا حلّ الغد وظهرت صحة ما قيل، وذبح الشعب برصاص البنادق وقذائف المدافع وسحق الدبابات، ثم يرحل بعد أن يترك البلاد أرضا بلا إنسان.

لقد ابتلينا بهكذا مخلوق، وإننا ندعو الله . ينبغي أن ندعو الله أن يمر ذلك بسلام فلو حدث ذلك فإن مصيبة كبرى ستحل بإيران، رغم أن زوال هذا سيجبر كل المصائب، ولكن لماذا نفسح له المجال ليرتكب ذلك؟ صحيح أنه مدعوم ببنادق أميركا وأسلحتها، ولو كان غير ذلك لما أبقى عليه الشعب ولما أبقى على حكومته، ما يزال المستشارون الأميركيون وهذه أواخر عمره وأنه زائل لا محالة.

هذا ما وددت قوله للسادة المحترمين، وسأذكره غدا، وقبل هذا أود أن أوضح لكم أن مجلس الغد يشمل جميع الطلاب وغيرهم من الإيرانيين الذين يقيمون في خارج البلاد. إنه مجلس الجميع، وكما هو منزلي فإنه منزلكم جميعا، وأبوابه مفتوحة على الدوام. المجلس لا يخصّ أحد أبدا.. كلا إنه يخص الجميع وليس لأحد حق التدخل في ذلك.. الكل سواسية، وأنا أحبكم جميعا لا أميز بين أحد على آخر.. أنا أدعو لكم كلكم.. وأرجو ألاّ يتوهم البعض فيظنون بأنني صديق لطبقة خاصة، كلا.. أنا رفيق الجميع.

ولو سمحت الظروف غدا فسأفصل الموضوع أكثر حتى لا تبقى شبهة عالقة.. إن مصيبة الإسلام، قديما وحديثا، هو أن الذين بحثوا فيه لم يفهموه على حقيقته وفي كل أبعاده.

كل فرد ينظر إليه من خلال إدراكه فيرى بعدا واحدا منه، وكل يجده في الإسلام وفي القرآن خاضع لتلك النظرة الأحادية.

فقد كان الكلاميون في القرون الماضية لا يفهمون الإسلام إلا من خلال إدراكهم ليكون دينا مبنيا على قواعد الكلام. أما الفلاسفة فكانوا ينظرون إلى الإسلام كعقيدة فلسفية، فيما كان العرفاء يدركون الجانب العرفاني في الإسلام فقط فهو في رأيهم عقيدة عرفانية، ومن ذلك الوقت وإلى يومنا هذا والإسلام ما يزال مجهولا بعد.

فما تزال كل طائفة تنظر إلى بُعدٍ واحد منه، ومن هنا فإنهم يبحثون الإسلام في ضوء إدراكهم وفهمهم. فهم ينظرون إلى آيات القرآن وأحاديث النبي(ص) والأئمة (ع) من خلال فهمهم الخاص. يأخذون من الإسلام ما يوافق حساباتهم، يتصفحون الأوراق ويقفون أمام الصفحة التي تتلاءم وذوقهم.

من أجل ذلك وعندما نريد أن ننظر إلى بُعد الإسلام الدنيوي، إلى الجانب الحكومي منه، فإننا لا نرى شيئا، نراه يزخر بالمسائل الفلسفية والعرفانية. أما الإسلام كدين للحياة، كيف يعيش الشعب وما هو شكل الحكومة الإسلامية؟ وما علاقة المجتمع بالطبيعة؟ عندما نريد أن نرى كل ذلك فإننا لن نجد شيئا.. كل ما هو موجود يهتم بما وراء الطبيعة.. مسائل العرفان وقضايا الفلسفة..

وحان دور المتأخرين.. وكان موقفهم ردّ فعل لمن سبقوهم.. فإذا كان الإسلام في نظر أولئك دينا معنويا منحصرا في شؤون الفلسفة ووسائل العرفان فإن هؤلاء نبذوا ذلك بعيدا وتوقفوا عند صفحته المادية، فإذا الإسلام في نظرهم مجرد عقيدة مادية.

ومثلما كان الإسلام في نظر أولئك عقيدة روحية انسلخت عن أصلها، فحتى الآيات التي تناقش مسألة القتال مع المشركين، فسّروها صراعا مع النفس والغرائز. فإن هؤلاء ليقفوا موقفا مغايرا ليلائم العصر الذي يعيشون فيه عصر التقدم العلمي وعصر العلوم القريبة، فكان موقفهم متأثرا بالدعاية الغربية، وجاء فهمهم للإسلام فهما ماديا.

لقد غفل السابقون عن الطبيعة والحياة، ودعوا الناس إلى الباطن، وجاء هؤلاء فدعوا إلى المادية غافلين عن الجانب المعنوي. وكلا الطرفين على خطأ في الفهم.

إن الإسلام لا ينحصر في الجانب المعنوي فقط، إنه يحفل بكل ما هو معنوي، ولكنه لا يقتصر عليه فقط، والإسلام لا ينحصر بالمادة، إنه كذلك يزخر بالماديات ولكنه لا يتوقف عليها.

الإسلام عقيدة لصنع الإنسان.. والإنسان كما يصرّح البعض ما يزال مجهولا، لم تُكتشف أبعاده كلها بعد.. فما هي أبعاد الإنسان وما هي حاجاته؟ والإسلام الذي جاء لصياغة الإنسان، ترى هل جاء لصياغة الجانب الحيواني فيه؟ أم الجانب المعنوي؟ أم جاء لصياغة الإنسان بما هو إنسان؟

الإنسان يمتاز على سائر الموجودات، الحيوانات مثلا تمتاز على النباتات والجماد بدرجة إدراكها، ولكن إدراكها هذا يبقى قاصدا في الطبيعة وفي ما وراء الطبيعة.

الإنسان وحده الذي يدرك الوجود بأسره، إنه موجود إلهي.. الإنسان وحده الذي يطوي الوجود من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة ومن وراء الطبيعة إلى الله. الإنسان موجود شامل، لا ينحصر ببعدٍ واحدٍ أو بعدين.

إن سائر الموجودات تتألف من بعدٍ أو بعدين أو أكثر، ولكن شمولية الأبعاد لا توجد في سائر الموجودات. الإنسان وحده يمتاز بهذه الشمولية، ليست لأبعاده حدود، وكلل بُعد حاجاته لكي ينمو.

إن كل العقائد اليوم، والتي يزخر العالم بها، وباستثناء الإسلام وعقيدة التوحيد وعقيدة الأنبياء، هي عقائد مادية تنظر إلى الإنسان كحيوان، لا همّ له سوى الأكل والنوم. الحيوانات تشاركنا في الأكل والنوم، ولكن هؤلاء يجعلون يدورون حول هذا الجانب، حول البعد المادي فيه، ثم يتبجّحون بما يدعونه "الواقع" أو عالم الطبيعة، غافلين عن عوالم أخرى لا تدركها أذهانهم القاصرة.

وهي عوالم أكثر واقعية حتى من "الواقع"، إن عالم الطبيعة هو آخر العوالم في سلّم الوجود. بل هو أحطّ العوالم.

وليس الأمر كما يفهمون، والإنسان ليس موجود "طبيعي" أو موجود في عالم الطبيعة مقطوعا عن عوالم رفيعة، الإنسان له عوالم أسمى..

والذين حلّقوا إلى تلك العوالم بعيدا عن عوالم الطبيعة هم مخطئون.. كما أن الذين انشدّوا إلى هذا العالم المادي غافلين عن عوالم ما وراء الطبيعة هم أيضا مخطئون.

الإسلام للإنسان الشمولي، من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة إلى عالم الألوهية... الإسلام له برنامجه.. الإسلام يريد صنع الإنسان الشمولي.. كما هي فطرته التي يريد لها النمو المتكامل.. يلبي حظه من الطبيعة.. حظه من البرزخ.. حظه من الروح لكي تتكامل.. حظه من العقل ليكون أكثر إدراكا.. حظه

من الألوهية لينمي في نفسه الجانب الألوهي.. وكل هذا أبعاد في داخل الإنسان، وهي ناقصة وتنشد الكمال، ومن أجل ذلك جاءت الأديان لترفع النقص وتضع الإنسان في طريق التكامل.. لقد جاءت لتنضج هذه الفاكهة.

وعلى السادة ألاّ يسقطوا في شراك الغرب الذي هوى في شراك الطبيعة.. ليس هناك من أحد يفكر في ما وراء الطبيعة.. ليحذر السادة من الانخداع بهذه القواعد، عليهم ألاّ يتصوروا بأن الإنسان مجرد طعام ونوم ولا شيء سوى ذلك.

من الخطأ أن نفهم الآيات والروايات التي جاءت من أجل تكامل الإنسان أن نفهمها هكذا.. علينا أن نضع كل شيء في مكانه المناسب، الإنسان نموه الطبيعي المطلوب والممكن والصحيح.. وعلى أساس من موازين العفة والصلاح.. وهكذا في كل أبعاده إلى أن يصبح إنساناً.

أن يصير الإنسان إنسانا أمر صعب ولكنه ضروري. إن ما أريد أن أقوله هو أن الإسلام لم يأتِ ليربي حيوانا.. لم يأتِ ليوفر الطعام لهذا الحيوان أو يوفر له مكانا للنوم.. هذا جانب واحد من المهمة تليه جوانب أخرى.. أبعاد أخرى تنتظر النمو.. الإسلام يريد أن يربي الإنسان أيضا.. ومن هنا جاءت شريعة الإسلام، إنها لا تهتم في جانب أو بعدٍ دون آخر.

للإسلام قانونه في الحكومة، وله قانون في الإدارة، وله قانونه في المجتمع وفي الحرب.. وله أيضا طريقه في الوصول إلى ما وراء الطبيعة، كل هذا في الإسلام.

الإسلام لا ينطوي في بعدٍ واحد.. لكي يدّعي أحدهم بفهم الإسلام كاملا عندما يفهم تاريخ الإسلام، وكيف عاش المجتمع الإسلامي أو فهم قانونه الطبيعي.

إن قضايا الإسلام أسمى وأعلى بكثير من هذا، إنه حافل بالأبعاد، وعلى مَن يريد معرفة الإسلام أن يتأمل جيدا في القرآن والمبدأ الأساس فيه.. القرآن ينطوي على كافة الأبعاد، عليه ألاّ يأخذ بعض آياته ويدع البعض الآخر، عليه ألاّ يأخذ الآيات التي تخصّ الحكومة في الإسلام ثم يرفض آيات القيامة والبعث والمعاد. والذين فعلوا هذا يتصورون أن آيات القيامة واليوم الآخر هو مجرد خيال، كلاّ إنها عين الواقع بل إنها أكثر واقعية من الطبيعة التي نحيا فيها وكل ما في الأمر أننا لم ندرك ذلك بعد.

وعلى كل حال أسأل الله تعالى التوفيق لكل "الطلاب" في أوروبا، وفي أن لا يحصروا الإسلام في حقيبة تشبه الشيوعية والماركسية أو العقائد الأخرى. والذين لا يفهمون الإسلام يتصورون أنه يشبه سائر العقائد.

وأجد من واجبي أن أذكر موضوعا آخر هو واجبنا جميعا، إننا الآن في حالة استقرار، وإيران قلقة غير مستقرة، نحن قلقون إزاء مستقبل إيران، لا ندري ماذا سيحصل غدا في إيران، ينبغي أن نفكر، وهاجسي الآن هو ماذا علينا أن نفعل.

منذ عام وإيران مضطربة في كل زاوية منها ثورة، وفي كل مدينة إضراب، وقد عمت الإضرابات إيران بأسرها، كل المصانع والصحف، العمال أعلنوا جميعا الإضراب، إننا نعيش حالة من الاستقرار ويتوجب علينا ألا ننسى أولئك علينا أن نمد لهم يد العون كل حسب طاقته، نساعدهم بأقلامنا، فالقلم سلاح، والصحافة تفضح الظلم الذي يحيق بأمتنا والنظام الذي يرتكب الجرائم بها، يمكننا أن نعكس كل ذلك في الصحافة.

وإذا لم يكن بمقدور أحد أن يفعل شيئا فليدعوا الله أن ينقذ أولئك الذين ابتلوا بالنظام المنحط.

ليوفقكم الله جميعا، وإذا سنحت الفرصة غدا سأتحدث معكم إن شاء الله (صلوات الحاضرين) وأقدم اعتذاري للسادة إذا تأخرت في الحضور واختصرت الحديث، وهذه من علامات الشيخوخة، فأنا الآن في حدود الثمانين، وانتم والحمد لله ما تزالون شبابا، تملكون القوة في المقاومة، فاستمروا في اجتماعكم، واعتذر عن عجزي في المكوث بينكم (تكبير الحاضرين.(

هوية الخطاب رقم 33

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: 11 ذي القعدة 1398هـ الموافق 14 أكتوبر 1978م.

الموضوع: الأبعاد الشاملة للإنسان في العقيدة الإسلامية.

المناسبة: إقرار الملك في ارتكاب مذابح عامة في أربعين شهداء 17 شهريور.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس .